14 me Année No. 699

Lundi — 25 — 11 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٩٩ « القاهرة فى يوم الإثنين أول محرم سنة ١٣٦٦ — ٢٥ نوفبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الاسلام والنظام العالمى الجديد

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

هذه هى الدعوة الثانية من الهند فى هذا الموضوع ، وهو موضوع الإسلام وأحكامه التى تتكفل للعالم بنظام شامل يحل معضلاته ويوثق الروابط بين أممه ويبسط فيه الطمأنينة والسلام

وقد كتبت فى « الرسالة » عن الدعوة الأولى لصاحبها المولى محمد على الكاتب الهندى المشهور ومترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية

وهذه الدعوة الثانية هى خطاب ألقاه ميرزا بشير الدين محمود أحمد فى الاجتماع السنوى للجماعة الأحمدية بقاديان سنة ١٩٤٢ ، ثم ترجم إلى اللغة الإنجليزية وعنيت الجماعة بنشره قبل بضعة شهور

ويبدو من مطالعة هـذا الخطاب أن صاحبه يوجه النظام العالمى إلى حل مشكلة الفقر أو مشكلة الثروة وتوزيعها بين أمم العالم وأفراده ، وأنه بغير شك على اطلاع واف محيط بالأنظمة الحديثة التى عولجت بها هذه المشكلة ، وهى نظام الفاشية ونظام النازية ونظام الشيوعية ، وبعض النظم الديمقراطية

ولكنه يعتقد بحق أن المشكلة لا تحل على أيدى الساسة وزعماء الأحزاب والحكومات ، وأنه لامناص من القوة الروحية فى حل أمثال هذه المشكلات ، لأن الحل الشامل لكل مشكلة إنسانية عامة يتناول الإنسان كله ولا يهمل فيه الباعث الأكبر على الطمأنينة والحماسة للخير والصلاح ، وهو باعث العقيدة والإيمان .

وقد عرض للأديان الكبرى القائمة فى الهند خاصة — والعالم عامة — من حيث علاقتها بهذه المشكلة وتدبير الحلول التى تزود العالم بنظام جديد أفضل من نظامه المغضوب عليه ، فأتى بالأدلة الكثيرة على انفراد الإسلام بينها بمزية الإصلاح وتعميمه بين جميع الأجناس والطبقات فيما مضى وفى هذا الزمن الحديث

فالديانات الهندية تعلم الإنسان أن تفاوت الطبقات قضاء من الأزل لا نجاة منه لمخلوق ، لأن الأرواح تنتقل من جسد إلى جسد جزاء لها على ما جنت فى حياتها السابقة من السيئات والذنوب ، فهى تخرج إلى الدنيا بنصيب محتوم لا يقبل التبديل ولا يحسن تبديله إذا استطيع — ولن يستطاع — لأنه هو سبيل التكفير والارتفاع من حياة إلى حياة . وقد جاء فى قوانين مانو : « إن الفرد من طبقة السودرا لا يجمع الثراء ولو قدر عليه ، لأن ثراءه يؤلم نفوس البرهميين » . فإذا ادخر بعض المال لحاجاته التى تزيد على القوت والكساء حق للحكومة أن تجرده من ماله وتتركه للفاقة والكفاف ، وهكذا تقوم الفواصل بين الطبقات المختلفة ، وهى طبقات البرهمان والكشاتريا والفاشيا والسودرا وهم أخس الطبقات .

وتقضى القوانين البرهمية بسداد الديون بالعمل إذا كان الدائن والمدين من طبقة واحدة . فأما إذا كان المدين من طبقة أعلى من

طبقة الدائن فلا سداد إلا بالنقد أو العين متى تيسر ، ولا إلزام بالسداد قبل التيسير .

وتجب التفرقة بين الأخوة فى حقوق الميراث إذا اختلفت أمهاتهم فى الطبقة الاجتماعية . فيقسم الميراث كله إلى عشر حصص متساوية ، ويعطى ابن البرهمانية أربعاً وابن الكشاترية ثلاثاً وابن الفاشية اثنتين وابن السودرا حصة واحدة على قدر ما يجوز له من الثراء

ومن حق البرهمان أن يستولى على ملك خادمه من السودرا لأنه وما ملك فى طاعة مولاه .

فاذا كان الإصلاح العالمى محتاجاً إلى حماسة العقيدة ، وكانت هذه عقيدة المؤمنين بالديانات الهندية فلا رجاء فيها لعلاج مشكلة الفقر وإنصاف الطبقات المظلومة والتقريب بين الناس فى حظوظ الحياة .

أما الإسرائيلية فهى بأحكامها المنصوص عليها فى كتاب العهد القديم تخص اليهود ولا تعم الأمم جميعاً بالمساواة . فحرام على اليهودى أن يقرض يهودياً بالربا ولا يحرم عليه أن يتقاضى الربا المضاعف من أبناء الأمم الأخرى . ولا يجوز استرقاق اليهودى طول حياته ولا تزيد مدته فى الرق على سبع سنوات ، ولكن استرقاق العبيد فى الأمم الأخرى جائز فى كل حال ولا حرج عليه . وفى الإصحاح العشرين من سفر التثنية يقول العهد القديم لشعب إسرائيل : « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك .. وأما مدن هذه الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما ... » .

هذه هى حدود المعاملة بين المؤمنين بالعهد القديم وسائر بنى الإنسان ، فإذا سادت هذه المبادئ فالأمم كلها عبيد مسخرة وأبناء إسرائيل وحدهم هم أصحاب السيادة والثراء .

والمسيحية كما هو معلوم لم تعرض لمسائل القانون ومسائل السياسة أو الاجتماع ، ولهذا كانت دعوتها إلى السلام من الدعوات التى تصطدم بالواقع وتتمخض عن حروب لا تنقطع وحزازات بين الطبقات لا يهدأ لها أوار كما نرى فى تاريخ أوربة الحديث والقديم .

لكن الإسلام يتناول مسائل الاجتماع ومسائل العلاقات بين المحاربين والمسالمين . فالمسلم يقاتل إذا ظلم وأخرج من دياره ، ويأمره كتابه إذا ملك الأرض أن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

ولا يجيز الإسلام للنبى أن يكون له أسرى : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » .

ثم هو يستحب للمسلم المن أو الفداء « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق . فأما منًّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » .

ومن بقى فى الأسر وطلب المكاتبة فقبول طلبه واجب على مولاه « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

ولا مطمع فى معاملة بين الشعوب التعادية أعدل من هذه المعاملة وأقرب منها إلى إزالة العداء والبغضاء . فأما المعاملة بين المسالمين فهى كفيلة بإنصاف جميع الطبقات ؛ لأن الناس يتفاضلون بالأعمال الصالحة ولا يتفاضلون بالمظاهر والأنساب . وينكر الإسلام الجور فى توزيع الثروة فلا يجيز لأحد أن يكنز الذهب والفضة قناطير مقنطرة . ومن جمع مالا وجب عليه أن يؤدى زكاته للفقراء والمساكين ومصالح الجماعة بأسرها ، وعليه أن يعين من يطلب منه العون قرضاً حسناً لا مضاعفة فيه للربا ولا تجاوز فيه لمكاسب البيع والشراء ، فلا تطفيف للكيل ولا مغالاة بالربح ولا مماكسة ولا خداع ، وكل يجزى بعمله وسعيه دون

إيثار لأحد على أحد فى خيرات الأرض جميعاً ... « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » فلا يزعمن إنسان أو جمع من الناس أنه أحق بالأرض من سواه .

* * *

فالنظام العالمى لا يعتمد على عقيدة أصلح لتعميمه وحض النفوس عليه من العقيدة الإسلامية ، وقد أجاز الإسلام الوصية وندب لها المسلمين فى بعض الحالات . فان قصرت موارد الزكاة فموارد الوصية لا تضيق بما يطلب منها ، لأنها تشمل جميع الأموال والعروض ، وقد حث « الميرزا أحمد القادياني » أتباعه على التوصية بمقدار من ثرواتهم يتراوح بين عشرها وثلثها ، للانفاق منها على الدعوة والاصلاح .

* * *

ولم يقصر المؤلف — أوصاحب الخطاب — مقابلاته ومقارناته على العقائد الدينية التى أجلنا الاشارة إليها فيما أسلفناه ؛ ولكنه خصها بالعناية لأن العقيدة كما قال هى أمل الإصلاح الوحيد ، ونظر معها إلى النظم السياسية أو الاجتماعية فإذا هى قاصرة عن بغيتها من الوجهة العملية والوجهة الروحية على السواء .

فالفاشية — ومثلها النازية — لا تؤسس نظاماً عالمياً مكفول الدوام لأنها تقوم على تفضيل الجنس والعصبية القومية . فلا مكان فيها لأمم العالم غير الخضوع والتسليم للجنس الذى يزعمون له حق السيادة والرجحان .

والشيوعية تعطل البواعث الفردية وتسلب النفس حوافز الاجتهاد وتجعل الحياة مادة فى مادة لا يتخللها قبس من عالم الروح ، وتأخذ للدولة كل ما زاد من ثمرات الأفراد ، ولم تفلح مع هذا فى إنصاف العاملين ، لأن السادة فى روسيا الشيوعية طبقات فوق طبقات فى الترف والمتاع ، وقد روى الصحفيون أن وليمة الدولة للستر ويلكى مُدت فيها ستون صحفة من ألوان الطعام ، فهل يجعلون هذه المائدة مثلا يقتدى به المقتدون ؟ أو هى بذخ مقصور على فريق من الضيوف دون فريق ؟

* * *

والترجمة الانجليزية التى اشتملت على تفصيل هذه الخلاصة تقع فى مائة صفحة من القطع المتوسط وبعض صفحات ، ونحسبها صيحة لا تذهب فى الهواء إذا انتشرت بين قراء الانجليزية الأوربيين والأمريكيين بل الهنديين والشرقيين ، ولكننا نقرأ فيها أن مؤلفها يلقب بأمير المؤمنين وأنه الخليفة الثانى للمسيح الموعود ، ومعنى ذلك أنه من فريق القاديانية الذين يدينون برسالة « مسيحية » أو مهدية للقادياني ولا يكتفون له بوصف الاجتهاد كما اكتفى المولى محمد على وأصحابه من الهنود المسلمين . فنعجب لهذه الألقاب التى تحيط الدعوة بين المسلمين أنفسهم بأسباب الحبوط والإنكار ، ونسأل : ما هو موضع هذه المسيحية الجديدة أو هذه الخلافة إذا كانت الحجج التى ساقها المؤلف كلها من المراجع الاسلامية الأولى ولا زيادة عليها من وحى جديد ؟

نخير للدعوة أن تقصى عنها هذه الألقاب التى لا تزيدها قوة وتأخذ منها كثيراً من قوتها بين المسلمين أنفسهم ، فضلا عن غير المسلمين .

عباس محمود العقاد

ظهرت حديثاً :

الطبعة الجديدة من كتاب :

فى أصول الأدب

الأستاذ

احمد حسن الزيات

فى ٢٤٢ صفحة من القطع المتوسط

يطلب من دار الرسالة

ومن سائر المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٥ قرشاً

عدا أجرة البريد